

بلاغة التمثيل المكاني في رحلة ابن حمادوش الجزائري: مقارنة سردية

"The Rhetoric of Spatial Representation in Ibn Hammādūsh's Algerian Journey: A Narrative Approach

شهيناز قاسمي

جامعة ميلان، مخبر التراث الأدبي الجزائري الرسمي والهامشي (جامعة سكيكدة-الجزائر)،

k.chahinaz@centre-univ-mila.dz

النشر: 2025/12/31

القبول: 2025/12/21

الاستلام: 2025/09/14

ملخص:

يُعدّ أدب الرحلة جنسًا أدبيًا جامعًا من أبرز الأجناس الأدبية التي جمعت بين التوثيق والسرد والجمالية، إذ مثّل جسراً بين المعرفة والتجربة الذاتية. وتأتي رحلة ابن حمادوش الجزائري بوصفها نموذجاً مهماً من رحلات القرن الثامن عشر، حيث سجلت تفاصيل الحج ومظاهر الحياة في المشرق العربي، وقدمت صورة دقيقة للأمكنة المقدسة والمدنية على السواء. تنطلق هذه الدراسة من سؤال رئيس: كيف بنى ابن حمادوش تمثيلاً بلاغياً للمكان في رحلته؟ وذلك عبر تحليل المستويات اللغوية والسردية والرمزية التي كوّنَت صورة المكان. تكمن أهمية البحث في كونه يسلط الضوء على بعدٍ قلّما تمّت دراسته في الرحلة، وهو بلاغة التمثيل المكاني، بما يكشف عن كيفية تحوّل الأمكنة من مجرد فضاءات جغرافية إلى نصوص مشحونة بالدلالات الثقافية والروحية. ويعتمد البحث دراسة ثقافية سردية تستند إلى تتبع نص رحلة ابن حمادوش في ضوء مفاهيم البلاغة العربية والدراسات المكانية الحديثة، مع التركيز على تمثيل المكان الرمزي والثقافي، والغاية إبراز القيمة الأدبية والجمالية للرحلة، وفتح آفاق جديدة في دراسة أدب الرحلة الجزائري.

الكلمات المفتاحية: أدب الرحلة؛ المكان؛ ابن حمادوش؛ بلاغة التمثيل.

Abstract:

Travel literature is one of the most remarkable Arabic literary genres, combining documentation, narration, and aesthetics. The journey of Ibn Hammādūsh al-Jazā'irī represents an important model of 18th-century travel writing, as it records the pilgrimage experience and portrays the social and cultural life of the Arab East, while offering detailed depictions of sacred and urban spaces alike. This study raises a central question: How did Ibn Hammādūsh construct a rhetorical representation of space in his travel account? Through analyzing the linguistic, narrative, and symbolic levels that shape the image of space, we aim to uncover the mechanisms of representation.

The significance of this research lies in its focus on an often-overlooked dimension of travel writing, namely the rhetorical construction of space, which reveals how places are transformed from geographical settings into texts charged with cultural and spiritual meanings. The study adopts a descriptive-analytical method, drawing on modern spatial theories alongside classical Arabic rhetoric. The objective is to highlight the literary and aesthetic value of Ibn Hammādūsh's journey and to open new perspectives in the study of Algerian travel literature.

Keywords: Travel literature; Space; Ibn Hammādūsh; The rhetorical power of representational imagery

1. مقدمة:

يُعدّ أدبُ الرحلة من الأجناس الأدبية التي أسهمت بعمق في تشكيل الوعي الثقافي العربي الإسلامي لما ينطوي عليه من تفاعلٍ بين البعد التوثيقي الحافظ لأحداث التاريخ ومعارفه، والبعد الأدبي الذي يمنح النص طابعه الجمالي والبلاغي. وقد شكّل هذا الأدب مجالاً خصباً لتدوين التجربة الإنسانية، وتمثيل الذات في علاقتها بالمكان والزمان، من خلال آليات السرد والوصف والتأمل، بما يجعل الرحلة خطاباً ثقافياً يتجاوز حدود التسجيل العيني للأحداث.

وتبرز الرحلات الجزائرية، في هذا السياق بوصفها نصوصاً كاشفة عن خصوصية الهوية المغاربية في تماسها مع المشرق، وسعها إلى الموازنة بين الانتماء المحلي والانفتاح الحضاري. وتأتي رحلة ابن حمادوش الجزائري في القرن الثامن عشر نموذجاً دالاً على هذا التفاعل، إذ تسجّل تجربة الحج وما ارتبط بها من معاينة للأمكنة المقدسة والفضاءات المدنية، غير أنّ أهميتها لا تكمن في بعدها التوثيقي فحسب، بل في الكيفية التي أعاد بها الرحالة تشكيل المكان عبر اللغة، محوّلًا إيّاه من حيزٍ جغرافي إلى فضاء دلالي مشحون بالرموز الثقافية والإشارات الروحية.

وانطلاقاً من هذا التصوّر، تنبني إشكالية البحث على التساؤل الآتي:

كيف سيّد ابن حمادوش الجزائري تمثيلاً بلاغياً للمكان في رحلته، سواء تعلّق الأمر بالأمكنة المقدسة أم بالفضاءات المدنية؟
ويتفرّع عن هذا السؤال الرئيس عدد من التساؤلات الفرعية، من أبرزها:

ما السمات البلاغية التي اعتمدها ابن حمادوش في بناء صورة المكان؟

وبأي آليات سردية تحوّل المكان في الرحلة إلى خطاب ثقافي وروحي؟

وما الذي يمنح تمثيل المكان في الرحلة الجزائرية الجزائرية خصوصيته مقارنة بغيرها من الرحلات العربية؟

وتتجلى أهمية هذه الدراسة في سعيها إلى إبراز القيمة الأدبية والجمالية للنص الرحلي والكشف عن أبعاده الثقافية والرمزية، مع الانفتاح على المقاربات النقدية المعاصرة التي تُعنى بالمكان والفضاء السردية، بما يسهم في إثراء البحث في أدب الرحلة الجزائري، الذي لا يزال في حاجة إلى مزيد من التفكيك والتحليل.

أمّا على المستوى المنهجي، فيعتمد البحث مقارنة تحليلية ذات أفق ثقافي وبلاغي، تستفيد من مفاهيم الدراسات المكانية الحديثة، وتستأنس بالبلاغة العربية، بهدف الكشف عن آليات تمثيل المكان ودلالاته الجمالية داخل النص الرحلي.

2. أدب الرحلة ونشأته في الثقافة العربية

يُعدّ أدب الرحلة من أبرز الأجناس التي عرفها التراث العربي الإسلامي، إذ يجمع بين البعد المعرفي والجانب الأدبي، وهو ما جعله مجالاً ثرياً للبحث والدراسة. وقد عُدّ في بعض المقاربات "وثيقة حيّة تجمع بين التاريخ والأدب في آن واحد" (عباس، 1996، ص. 112).

ومن ثمّ يمكن القول إن قوة هذا الجنس الأدبي تنبع من ازدواجيته، حيث يجمع بين التوثيق والجمالية في بناء واحد.

في هذا السياق، رُبّطت نشأة الرحلة أساساً بالدافع الديني، خاصة رحلات الحج والعمرة (ضيف، 1995، ص. 221). غير أن هذا التفسير يظل جزئياً، إذا ما أخذنا بعين الاعتبار دوافع

القارئ شريكاً في التجربة الرحلية (عباس، 1980، ص. 12). فالنص لا يكتفي بتقديم الوقائع، بل يصوغها في شكل مشهدي يضع القارئ داخل المكان، وهو ما يُخرج الرحلة من حدود التوثيق إلى فضاء الأدبية. وتكشف رحلة ابن حمادوش عن هذا الأسلوب في تصوير مناسك الحج، حيث تمتزج الألفاظ الوجدانية بالوصف الواقعي.

إذا كان البعد الفني يقوم على إشراك القارئ، فإنه يفتح المجال للحديث عن البعد الفكري الذي يمنح هذا الوصف قيمة معرفية تتجاوز السرد البسيط.

كما أنّ الرحلة المغربية بوجه خاص مثلت مزيجاً من التوثيق الجغرافي والانشغال بالمعرفة، فهي نص علمي وأدبي في الوقت نفسه (الترغي، 1990، ص. 33). يظهر ذلك في تعدد الطبقات النصية: من الجغرافيا والتاريخ إلى الفقه والعادات الاجتماعية. رحلة ابن حمادوش – وإن كانت في ظاهرها رحلة حج – إلا أنها تنطوي على إشارات ثقافية وحضارية تعكس صورة المجتمع المغربي في القرن الثامن عشر.

هذا الانفتاح على علوم ومعارف مختلفة يعكس اتجاهاً موسوعياً، وهو ما يربط البعد الفكري بالبعد الفني السابق، ويمهّد في الآن ذاته للتداخل مع أشكال سردية أخرى كالقصص والرواية.

ومن سمات هذا التداخل أنّ النص الرحلي استوعب عناصر السرد الروائي، مثل التشويق، والحوار، وتنامي الحدث (يعلى، 2002، ص. 41). وهذا ما يجعل النص أكثر حيوية، إذ لا يقدّم الوقائع بجمود، بل ينسجها في قالب قصصي. وبرغم أنّ ابن حمادوش كتب في القرن الثامن عشر، إلا أنّ نصه يتضمن ملامح روائية، من

أخرى مثل طلب العلم، والتجارة، والبعثات الدبلوماسية.

وعليه، فالرحلة ممارسة حضارية شاملة تعكس تنوع البواعث الفكرية والاجتماعية، لا مجرد ظاهرة دينية معزولة.

وقد وُصفت الرحلة بأنها "مرآة صادقة لروح الحضارة العربية الإسلامية" (الهراس، 1981، ص. 47). فهي لا تقدم وصفاً حيادياً، وإنما تبني صورة العالم والآخر من خلال منظور ذاتي.

وهذا يعني أن الرحلة نص ثقافي بامتياز، يتيح دراسة الذهنيات وأنماط التمثيل أكثر مما يتيح فقط رصد الأمكنة.

كما أُشير إلى أن الرحلات المغربية والأندلسية تميزت بارتباطها بالهوية المغربية في تفاعلها مع المشرق (بن شريفة، 1983، ص. 15).

ويمكن النظر إلى رحلة ابن حمادوش بوصفها نصاً شاهداً على حوار حضاري بين ضفتين: المغربية والمشرقية.

أوضحت بعض الدراسات أنّ الرحلة العربية جمعت بين الدقة الجغرافية والبنية الأدبية وهذا التمايز مع الرحلة الغربية يؤكد أن تمثيل المكان في النص العربي يتجاوز الإحداثيات المكانية ليُصبح تعبيراً عن رؤية ثقافية وروحية.

وفي منظور معاصر، وُصفت الرحلة بأنها "فضاء لإعادة إنتاج الهوية الثقافية" (Clifford، 1997، ص. 25).

وبهذا المعنى، يغدو المكان في رحلة ابن حمادوش عنصراً لإعادة صياغة الذات، مما يمنح النص بعداً هوياتياً يتجاوز التسجيل إلى بناء المعنى.

3. الخصائص الفنية والفكرية للرحلة العربية
يتميّز أدب الرحلة العربية بخصوصية فنية تتجلى في دقة الوصف وسلاسة اللغة، الأمر الذي يجعل

4. المكان في أدب الرحلة بين التوثيق والتخييل
 يحتل المكان في أدب الرحلة موقعاً محورياً، إذ لا يمكن تصور نص رحلي يخلو من حضور مكاني. فالمكان لا يقدم كإطار محايد فحسب، بل يتداخل في نسيج السرد ليصبح عنصراً دلالياً يشارك في تشكيل المعنى (العيد، 1992، ص. 64). ومن ثم يتضح أنّ الرحلة لا تقتصر على تسجيل الأمكنة كما هي، وإنما تمنحها أبعاداً رمزية وجمالية تعكس التجربة الفردية والجماعية معاً.
 وعليه، يتأسس المكان في النصوص الرحلية على شبكة من العلامات والدلالات، فيتحوّل النص الرحلي إلى فضاء دلالي أكثر منه جغرافياً محضاً (مفتاح، 1990، ص. 142). فالوصف المكاني لا يكفي بنقل المعطيات البصرية، بل يفتح على مستويات رمزية وثقافية تمنح المكان أفقاً يتجاوز المادي إلى القيمي. وهو ما يتجلى في رحلات الحج على سبيل المثال، حيث لا تُقدّم الكعبة أو المدينة كمعالم معمارية فحسب، وإنما كرموز دينية تستدعي حضوراً وجدانياً عميقاً.
 ويظهر المكان في النص الرحلي كبنية سردية تؤدي دوراً أساسياً في اتساق النص وانسجامه (يقطين، 1989، ص. 89). فترتيب الأمكنة في السرد لا يتم اعتباطاً، بل يخضع لبنية داخلية تجعل الانتقال المكاني يعادل الانتقال الرمزي أو الروحي. وهكذا تتحوّل الرحلة إلى بناء سردي متماسك يعيد إنتاج التجربة المكانية باعتبارها مساراً متصاعداً نحو غاية عليا، مما يعكس العلاقة الجدلية بين البنية النصية والدلالة الرمزية للمكان.
 وتبرز بعض الدراسات أنّ الرحلة العربية تجمع بين بعدين متكاملين: التوثيق الذي يمنح النص

وصف حيّ للأمكنة إلى تعبير وجداني يقرب النص من الرواية والسيرة الذاتية.
 إدماج عناصر السرد يربط الرحلة من جهة بالفنية السابقة، ومن جهة أخرى بالفكرية اللاحقة، حيث تتحول من مجرد تجربة شخصية إلى وعي بالتاريخ والزمن.
 وفي هذا السياق، لا تقتصر الرحلة على نقل الأمكنة، بل تعكس وعياً بالزمن والذاكرة التاريخية (العروي، 1991، ص. 65). فالأمكنة عند ابن حمادوش ليست مجرد فضاءات جغرافية، بل هي محمولة برموزها التاريخية والدينية، مما يمنح النص عمقاً يتجاوز اللحظة المباشرة.
 إنّ إدخال البعد التاريخي يعيد وصل النص بالماضي الجماعي، وهو ما يمهد لظهور الشعرية الرحلية التي تجعل المكان خطاباً أدبياً يتجاوز التوثيق.
 كما تكمن شعرية الرحلة في المزج بين السرد والوصف والتأمل الفلسفي، بحيث يتحوّل المكان إلى نص يُقرأ لا إلى فضاء يُشاهد وفي رحلة ابن حمادوش، يتجلى هذا البعد في تصوير الأماكن المقدسة من خلال استعارات وصور بلاغية تُكسب المكان طابعاً وجدانياً.
 هذه الشعرية تقيم جسراً بين الوعي التاريخي السابق وتمثيل الهوية اللاحق، إذ يتحوّل المكان إلى حامل لمعاني ثقافية وروحية.
 وأخيراً، فإنّ نصوص الرحلة تكشف عن شبكة من التمثيلات الثقافية والسياسية، حيث يُعاد إنتاج صورة "الأنا" و"الآخر" في كل وصف للمكان في رحلة ابن حمادوش، يتضح ذلك في الطريقة التي يُصوّر بها الآخر – سواء الحجاج أو السكان – من موقع هويته الجزائرية الإسلامية.

يرتبط هذا المبحث ارتباطاً وثيقاً بالمباحث السابقة حول مفهوم البلاغة في التراث النقدي العربي، حيث أشرنا إلى أنّ البلاغة تقوم على إيصال المعنى بطريقة مؤثرة ومرتبطة بالسياق والمقام، وهو ما يُطبّق بشكل عملي في وصف الرحالة للأمكنة.

علاوة على ذلك، يبرّئ فهم طبيعة المكان في الرحلة الأرضية والسردية لبقية المباحث المتعلقة بالخصائص الفنية والفكرية لأدب الرحلة، حيث يتضح أنّ البناء السردى للمكان، والازدواجية بين المرجعي والتمثيلي، يساهم في إنتاج نص موسوعي يجمع بين الدقة العلمية واللغة الأدبية. ومن هذا المنظور، يصبح تحليل المكان في الرحلة أداة مركزية لفهم التداخل بين البعد الفني والفكر الثقافي، ويؤكد أنّ الرحلة ليست مجرد نقل للأحداث، بل إعادة إنتاج للهوية والتجربة الإنسانية ضمن فضاء محدد ومعنى متعدد الطبقات.

5. مفهوم البلاغة في التراث النقدي العربي

ارتبط مفهوم البلاغة في الثقافة العربية الكلاسيكية بوظيفة الإقناع والتأثير في المتلقي، أكثر من ارتباطه بالزخرفة الشكلية. فالبلاغة تقوم أساساً على إيصال المعنى إلى القلب في صورة واضحة وجميلة، وهو ما يجعلها أداة للتأثير قبل أن تكون مجرد زينة لفظية (الجاحظ، 1968، ص. 76). ومن خلال هذا الفهم، يتبين أنّ البلاغة ذات طبيعة تواصلية، إذ لا تهدف إلى العرض الشكلي، بل إلى بناء علاقة مباشرة مع المتلقي. ومن هنا تتضح الصلة بين البلاغة وأدب الرحلة، لأنّ هذا الأخير لا يكتفي بعرض تفاصيل الطريق والأمكنة، بل يسعى إلى إدخال القارئ في عمق التجربة الروحية والوجدانية.

مصاديقه، والتخييل الذي يمنحه طابعه الأدبي (العلوي، 2004، ص. 112). فالرحلة إذا اكتفت بالتوثيق غدت سجلاً جغرافياً بارداً، وإذا اقتصرنا على التخييل فقدت بعدها المرجعي. غير أنّ قوتها تكمن في التوازن بين هذين البعدين، حيث يوازي الوصف الدقيق للطريق والمنازل، على سبيل المثال، استعمال صور بلاغية تجعل المكان تجربة وجدانية بقدر ما هو تجربة حسية. كما تكشف بعض الرسائل الجامعية عن أنّ الأمكنة في الرحلات المغربية تحمل أبعاداً وجدانية تنقل التجربة الذاتية للرحالة، وهو ما يحوّل الوصف من مجرد تسجيل خارجي إلى بناء أدبي يعكس العلاقة بين الذات والمكان (بن داود، 2012، ص. 77). فالمكان هنا لا يُقرأ فقط بوصفه فضاءً خارجياً، بل يُعاش كخبرة داخلية تُترجم بلغة مشحونة بالعاطفة والانفعال.

وتتعمق هذه الرؤية في بحوث أخرى تناولت الرحلة الجزائرية، حيث جرى التأكيد على أنّ المكان يتأرجح دوماً بين المرجعي (التوثيقي) والتمثيلي (الأدبي)، وهو ما يمنح النص الرحلي طابعه المركب (بوشامة، 2018، ص. 190). وبذلك يظهر المكان في أدب الرحلة كخطاب مزدوج يجمع بين تسجيل الواقع وصياغة التخييل، ويمنح النص الرحلي فرادته باعتباره وثيقة تاريخية وأدبية في الوقت نفسه.

يتضح من خلال دراسة المكان في أدب الرحلة أنّه ليس مجرد إطار جغرافي للأحداث، بل عنصر فعال ينسج بين التوثيق والتخييل، وبين المضمون البلاغي والتجربة الذاتية للرحالة. فالرحلة، باعتبارها نصاً رحلياً، تُظهر قدرة اللغة على تحويل المكان إلى فضاء دلالي يحمل الرمزية، الانفعال، والمعنى التاريخي والديني. وبذلك،

والمع تطور التفكير النقدي، لم يعد ينظر إلى البلاغة بوصفها قائمة على اللفظ وحده، وإنما باعتبارها نظاماً متكاملًا يقوم على علاقات تركيبية. فالمزية لا تتحقق في الكلمات المفردة، بل في طريقة نظمها وعلاقاتها داخل السياق (الجرجاني، 1992، ص. 45). وبناءً على ذلك، فإنّ بلاغة النص الرحلي لا تُقرأ في مفردات وصفية معزولة، بل في الترابط اللغوي الذي يُعيد تشكيل المكان ويمنحه أبعاده الرمزية والوجدانية.

وتظهر البلاغة في قدرتها على التصوير الفني، إذ يصبح جمال القول مرتبطاً بتمثيل المعنى تصويراً حسياً يجعل القارئ يراه وكأنه مشهد مائل أمامه (ابن الأثير، 1983، ص. 92). وهذا التصوير يتجلى بوضوح في الرحلات، حيث يتحول المكان إلى صورة بصرية حية تتجاوز حدود الوصف المباشر، فيصبح النص وسيطاً بين التجربة الواقعية والتخييل الأدبي.

ويُبنى المفهوم البلاغي على مبدأ "مطابقة الكلام لمقتضى الحال"، أي أنّ جودة الخطاب تتحدد بحسب طبيعة المقام والظروف التي يرد فيها (السكاكي، 1987، ص. 101). وهذا ما يجعل أدب الرحلة مثلاً عملياً لتطبيق هذا المبدأ، إذ تختلف طريقة وصف الأماكن المقدسة عن طريقة وصف المدن التجارية أو الطرق الصحراوية. فلكل مقام أسلوبه الخاص ولغته المناسبة التي تراعي طبيعة التجربة وغاياتها.

كما تقوم البلاغة على الجمع بين وضوح المعنى وحسن السبك، بحيث يظل الخطاب متوازناً بين جانب المضمون وجانب الشكل (العسكري، 1969، ص. 56). وهذا التوازن هو ما يمنح أدب الرحلة قيمته الجمالية، لأنه يوفق بين وضوح المعلومات الموثقة من جهة، وجمالية الصور

والمع تطور التفكير النقدي، لم يعد ينظر إلى البلاغة بوصفها قائمة على اللفظ وحده، وإنما باعتبارها نظاماً متكاملًا يقوم على علاقات تركيبية. فالمزية لا تتحقق في الكلمات المفردة، بل في طريقة نظمها وعلاقاتها داخل السياق (الجرجاني، 1992، ص. 45). وبناءً على ذلك، فإنّ بلاغة النص الرحلي لا تُقرأ في مفردات وصفية معزولة، بل في الترابط اللغوي الذي يُعيد تشكيل المكان ويمنحه أبعاده الرمزية والوجدانية.

وتظهر البلاغة في قدرتها على التصوير الفني، إذ يصبح جمال القول مرتبطاً بتمثيل المعنى تصويراً حسياً يجعل القارئ يراه وكأنه مشهد مائل أمامه (ابن الأثير، 1983، ص. 92). وهذا التصوير يتجلى بوضوح في الرحلات، حيث يتحول المكان إلى صورة بصرية حية تتجاوز حدود الوصف المباشر، فيصبح النص وسيطاً بين التجربة الواقعية والتخييل الأدبي.

ويُبنى المفهوم البلاغي على مبدأ "مطابقة الكلام لمقتضى الحال"، أي أنّ جودة الخطاب تتحدد بحسب طبيعة المقام والظروف التي يرد فيها (السكاكي، 1987، ص. 101). وهذا ما يجعل أدب الرحلة مثلاً عملياً لتطبيق هذا المبدأ، إذ تختلف طريقة وصف الأماكن المقدسة عن طريقة وصف المدن التجارية أو الطرق الصحراوية. فلكل مقام أسلوبه الخاص ولغته المناسبة التي تراعي طبيعة التجربة وغاياتها.

والمع تطور التفكير النقدي، لم يعد ينظر إلى البلاغة بوصفها قائمة على اللفظ وحده، وإنما باعتبارها نظاماً متكاملًا يقوم على علاقات تركيبية. فالمزية لا تتحقق في الكلمات المفردة، بل في طريقة نظمها وعلاقاتها داخل السياق (الجرجاني، 1992، ص. 45). وبناءً على ذلك، فإنّ بلاغة النص الرحلي لا تُقرأ في مفردات وصفية معزولة، بل في الترابط اللغوي الذي يُعيد تشكيل المكان ويمنحه أبعاده الرمزية والوجدانية.

وتظهر البلاغة في قدرتها على التصوير الفني، إذ يصبح جمال القول مرتبطاً بتمثيل المعنى تصويراً حسياً يجعل القارئ يراه وكأنه مشهد مائل أمامه (ابن الأثير، 1983، ص. 92). وهذا التصوير يتجلى بوضوح في الرحلات، حيث يتحول المكان إلى صورة بصرية حية تتجاوز حدود الوصف المباشر، فيصبح النص وسيطاً بين التجربة الواقعية والتخييل الأدبي.

ويُبنى المفهوم البلاغي على مبدأ "مطابقة الكلام لمقتضى الحال"، أي أنّ جودة الخطاب تتحدد بحسب طبيعة المقام والظروف التي يرد فيها (السكاكي، 1987، ص. 101). وهذا ما يجعل أدب الرحلة مثلاً عملياً لتطبيق هذا المبدأ، إذ تختلف طريقة وصف الأماكن المقدسة عن طريقة وصف المدن التجارية أو الطرق الصحراوية. فلكل مقام أسلوبه الخاص ولغته المناسبة التي تراعي طبيعة التجربة وغاياتها.

يتضح أن التمثيل الثقافي يعمل كأداة لإعادة إنتاج العلاقة بين الذات والآخر، بما يشمل البيئة والمجتمع والمكان (، سعيد، 1979، ص 88). وهذا يعني أنّ الرحالة، من خلال تصويره للأماكن يعيد إنتاج تصورات الثقافة والرمزية، بحيث يصبح النص وسيلة للتواصل الثقافي وبناء الهوية. في هذا الإطار، يتحول المكان من مجرد موقع جغرافي إلى مكون معرفي وثقافي متكامل، يتفاعل مع تجربة الرحالة.

وأخيراً، يشير التطور الحديث في الدراسات البلاغية إلى أنّ التمثيل في الأدب الحديث صار بناءً رمزياً يعكس رؤية العالم وإدراك الكاتب له (إبراهيم، 2010، ص 67). وبالتالي، النصوص الرحلية العربية والمغاربية تُظهر كيف أن التمثيل لا يقتصر على الوظيفة البلاغية التقليدية، بل يمتد ليشمل الإبداع الفني، والبُعد الرمزي، والقدرة على نقل تجربة معرفية وثقافية متكاملة. من هذا المنطلق، يصبح التمثيل عنصراً حاسماً في إنتاج الخطاب الأدبي الذي يجمع بين الواقعية والتخيل، وبين الوظيفة الجمالية والمعرفية، وهو ما يثري النص الرحلي ويمنحه عمقاً متعدد المستويات.

7. المكان في النقد الحديث: من الجغرافيا إلى السرد

ظلّ المكان طويلاً في الدراسات النقدية عنصراً ثانوياً مقارنة بالزمان أو الشخصية، غير أنّ النقد الحديث أعطاه موقعاً محورياً في قراءة النصوص، إذ لم يعد يُنظر إليه كمجرد خلفية للأحداث، بل كبنية دلالية فاعلة. ففي هذا السياق، أكد باشار أنّ "المكان ليس مجرد إطار، بل هو خزان للذاكرة والخيال" (Bachelard, 1957, p. 32). ويُمكن القول إن

والتجربة إلى القارئ بطريقة تجعلها محسوسة ما يجعل النص أكثر قرباً من الواقع الذهني للقارئ. يمتد التمثيل ليشمل البعد التصويري، بحيث يُنظر إليه كفعل إبداعي لبناء مشاهد حيّة وملموسة (ابن رشيق، 1981، ص 122) ويأتي ذلك ليعطي النصوص الرحلية بعداً سردياً أكثر دينامية، حيث يتحول المكان إلى عنصر حيّ يشارك في الأحداث، ما يُمكن القارئ من العيش داخل المشهد. ومن ثم، يمكن القول إن التمثيل لا يقتصر على تقريب المعنى فحسب، بل يخلق تجربة جمالية وروحية متكاملة، مرتبطة بالسياق الثقافي للرحالة.

كما يكتسب التمثيل بعداً حجاجياً، إذ يُستعمل لإقناع الجمهور بالتصورات المقدمة، وهذا يشمل التأكيد على صدقية المعلومات أو على قدسية المكان (الفارابي، 1996، ص 96). وبالربط مع أدب الرحلة، يمكن ملاحظة أنّ الرحالة لا يكفي بنقل المظاهر الخارجية، بل يسعى لإقناع القارئ بمصداقية مشاهداته وبمعنى المكان الرمزي والثقافي، ما يمنح النص بعداً معرفياً وحجاجياً في الوقت ذاته.

وُنظرت في ضوء الدراسات الحديثة، إلى التمثيل على أنّه ليس انعكاساً للواقع، بل عملية إنتاج للواقع داخل النص (Foucault, 1994p144). فعند تحليل النصوص الرحلية، نجد أنّ تصوير المكان لا يعكس الواقع المحسوس فقط، بل يبني واقعاً تخيلياً، يُضاف إليه البعد الرمزي والثقافي. وعليه، يمكننا اعتبار أن التمثيل يخلق فضاءً معرفياً يكون فيه النص الرحلي وسيطاً بين الواقع والتخيل، ما يعزز فهم العلاقة بين المتلقي والمكان في النص.

مجرد نقل لمعلومات مكانية. هذا ما يعزز فكرة أنّ المكان، في النصوص الرحلية، يُنتج خبرة معرفية وجمالية متكاملة، تعكس رؤية الكاتب للعالم وتفاعله مع المحيط.

يشير هذا الطرح إلى أنّ المكان يُشكّل أداة لترميز الهوية الثقافية، إذ إنّه "حامل للهوية، لأنه يترجم علاقة الفرد بجماعته وثقافته" (هناوي، 2004، ص87). وبالتالي، رحلة ابن حمادوش لا تكتفي بتوثيق الأماكن، بل تعكس هويته الجزائرية الإسلامية، حيث تصبح مكة والمدينة رموزاً للانتماء الديني والوعي الجماعي. وبهذه الطريقة يتحول المكان من مجرد موقع جغرافي إلى عنصر ثقافي محمّل بالدلالات الرمزية والمعنوية.

وأخيراً، تؤكد الدراسات الحديثة أنّ المكان يمثل نقطة التقاء بين البنية السردية والثقافية، بحيث لا يمكن قراءته بمعزل عن رؤية الكاتب للعالم (بوزيدي، 2015، ص201). ومن هذا المنطلق يتحقق التكامل بين البُعد الواقعي والتخيلي والرمزي للمكان، ويصبح عنصراً فاعلاً في بناء النص الرحلي، حيث يعكس رؤية دينية وصوفية للمكان، ويحوّله إلى أفق دلالي وفلسفي يضيء على الرحلة معنى أعمق

8. بلاغة التمثيل المكاني عند ابن حمادوش:

إذا كان النظر في البلاغة قد كشف لنا عن أبعادها النظرية ومفهوم التمثيل وعلاقته بالمكان، فإنّ اختبار هذه المفاهيم لا يكتمل إلا بالعودة إلى نصوص حيّة تحتضنها وتفصح عنها. ومن بين هذه النصوص تبرز رحلة ابن حمادوش الجزائري بوصفها وثيقة تاريخية ونصّاً أدبياً في آن واحد؛ فهي ليست مجرد تسجيل لأحداث السفر ومشاهد الطريق، بل خطاب بلاغي يشيّد المكان

الرحلات العربية مثل رحلة ابن حمادوش، لا تصف المكان وفق الخرائط الجغرافية وحدها، بل كذاكرة روحية، تشمل عناصر الحنين للوطن والقداسة الدينية، ما يجعل المكان عنصراً فاعلاً في إنتاج المعنى الأدبي.

كما يربط لوتمان بين المكان والسرد من خلال رؤيته له كـ «نظام دلالي يحدد العلاقات بين الداخل والخارج» (Lotman, 1977, p. 217). وبالاعتماد على هذا الطرح، يمكن تفسير الرحلة على أنّها عملية عبور رمزي، من الداخل المحلي (الجزائر) إلى الخارج الكوني (المشرق)، ما يمنح المكان بعداً إيديولوجياً وسردياً في النص الرحلي. بالتالي، يبرز المكان كعنصر يربط بين النصوص الفردية والفضاء الثقافي العام، ويمنح النص عمقاً متعدد المستويات.

ويرى ريكور أنّ المكان السردى يتشكل عبر تداخل ثلاثة أبعاد: الواقعي، والمتخيل، والرمزي (Ricoeur, 1983, p. 144). وهذا يسمح بتحليل النصوص الرحلية على مستويات مختلفة؛ فمثلاً مكة في رحلة ابن حمادوش تمثل مكاناً واقعياً ملموساً، وفي الوقت ذاته فضاء متخيلاً يبنيه النص في ذهن القارئ، فضلاً عن رمزيته الدينية. وبهذه الطريقة، يتجاوز التمثيل المكاني كونه وصفاً جغرافياً ليصبح بناءً سردياً يدمج بين الواقعي والمتخيل والرمزي، ما يعكس ثراء النص وتعدد دلالاته.

كما أنّ النقد العربي الحديث ركّز على البعد البلاغي للمكان، إذ أشار فضل إلى أنّ المكان "مكوّن بلاغي يتجلى في قدرته على تشكيل صورة أدبية تترك أثرها في التلقي" (فضل، 1996، ص12). وعليه، يصبح وصف الأمكنة في الرحلة أداة لإحداث تأثير وجداني وجمالي في القارئ، وليس

1.8. نحو بلاغة التمثيل المكاني (تداخل البلاغة والسرد في تشكيل صورة المكان)

يمثل هذا المبحث خلاصة المسارات السابقة، إذ يبين كيف يمكن الجمع بين البلاغة والسرد لإنتاج مكان نصي معقد. فالنص الرحلي لا يقتصر على كونه تقريراً معلوماً، بل يتحول إلى ممارسة لغوية وسردية تُنتج المكان من خلال بلاغة متخصصة. وفي هذا الإطار، يشير تودوروف إلى أن "السرد ليس نقلاً للواقع، بل نظام بلاغي يحول الأحداث إلى خطاب" (Todorov, 1971, p. 88)، مما يفتح المجال لقراءة النص الرحلي بوصفه خطاباً بلاغياً متكاملًا، لا وثيقة تاريخية بحتة. فحين يصف ابن حمادوش مكة، فإنه لا ينقل الواقع المادي فحسب، بل يحوله إلى خطاب متخيل عبر الصور، الاستعارات، والإيقاع، ما يعكس الدور الجمالي للسرد.

وعلاوة على ذلك، يعتبر بارت أن "الوصف السردى هو لغة ثانية، لأنه يترجم الأشياء إلى صور لغوية" (Barthes, 1953, p. 102)، ما يوضح أن الوصف المكاني لا يكتفي بالإشارة إلى الأشياء، بل يحولها إلى صور رمزية. وهكذا، يتحول النص الرحلي من مجرد تقرير إلى تجربة جمالية ومعرفية متكاملة، حيث تصبح الكعبة "بيت الله الذي تهفو إليه القلوب" (Barthes, 1953, p. 102)، أي لغة ثانية تضيء بعداً تخييلياً على المكان.

كما يشير جينيت إلى أن السرد يتضمن مستويات من "التلفظ البلاغي" حيث يتقاطع الوصف المكاني مع السرد الزمني لإنتاج دلالة مركبة (Genette, 1972, p. 145). ومن ثم، يصبح المكان ديناميكياً، يتفاعل مع حركة الرحالة والزمن السردى، ويخضع لمنطق بلاغي مزدوج

ويحوّله من جغرافيا جامدة إلى فضاء رمزي نابض بالمعنى.

لقد كتب ابن حمادوش رحلته في سياق ديني وثقافي مخصوص، حيث كانت الرحلة إلى المشرق وبالأخص إلى الحرمين الشريفين، جزءاً من الوعي الجمعي للمثقف الجزائري في القرن الثامن عشر. غير أن تميز هذه الرحلة لا يكمن فقط في تسجيل تفاصيل المنازل والبلدان، بل في الطريقة التي صاغ بها صاحبها صورة الأمكنة؛ إذ جعل من كل فضاء محطة للانفعال والتأمل، وحوّل اللغة إلى مرآة تكثف التجربة الروحية بقدر ما تنقل المشاهد الواقعية.

هنا يتبدى مفهوم بلاغة التمثيل المكاني، فهو الأداة التي تسمح لنا بقراءة الوصف الرحلي لا كمجرد تقرير، بل كخطاب بلاغي تتضافر فيه الاستعارة والتشبيه والإيقاع مع السرد والحركة والانتقال. فالمكان عند ابن حمادوش ليس مساحة جغرافية تُقاس بالمسافات، بل صورة تُبنى بالكلمات: مكة تتحول إلى أيقونة روحية والمدينة المنورة إلى فضاء للسكينة والصفاء والطرق الصحراوية إلى امتحان وجودي، والوطن الجزائري إلى ذاكرة مشحونة بالحنين.

إنّ دراسة هذه الصور تمكّننا من الوقوف عند آليات تشكّل البلاغة داخل النص الرحلي، وكيف يُعاد إنتاج المكان عبر اللغة، بحيث يغدو الخطاب ذاته فضاءً متخيلاً بقدر ما هو وصف للواقع. ومن هنا سننطلق لتحليل رحلة ابن حمادوش في ضوء العناصر الأربعة الأساسية: الأمكنة المقدسة، الأمكنة الحضرية، الطريق، ثم صورة الوطن، لنكشف من خلالها عن الأبعاد الجمالية التي تنطوي عليها تجربة التمثيل المكاني في هذا النص الفريد.

نظام بلاغي متكامل يدمج بين الواقعي والمتخيل والرمزي.

2.8. بلاغة التمثيل المكاني في الأمكنة الدينية في رحلة ابن حمادوش، تُبرز الأمكنة الدينية كمجالات مركبة تجمع بين البعد الروحاني والمعرفي والاجتماعي، إذ تتحول من مجرد فضاءات معمارية إلى فضاءات حية تعكس نشاط الأفراد وتجاربهم الروحية. فعلى سبيل المثال، يصف الرحالة جامع القرويين بفاس قائلاً:

"فدخلنا جامع القرويين، فوجدنا فيه من العلماء ما لا يحصى، وازدحمنا على حلقات الدروس" (ابن حمادوش، ص. 45).

يوضح هذا الوصف أن الجامع ليس مجرد مبنى جامد، بل فضاء حيوي تتفاعل فيه المعرفة مع العبادة، ويصبح المكان أداة لإنتاج خطاب بلاغي يدمج بين الواقع والرمزية. يمكن ملاحظة أن النشاط الاجتماعي والتعليم داخل المكان يخلق تجربة متعددة الأبعاد، تجعل القارئ يشعر بالحركة والحياة داخل فضاء الجامع.

وبالانتقال إلى زاوية الشيخ عبد السلام، يشير الرحالة إلى تواجد المريدين والذكر المستمر قائلاً:

"ثم قصدنا زاوية الشيخ عبد السلام، فوجدنا فيها من المريدين ما يملأ الأرجاء، والذكر لا ينقطع" (ابن حمادوش، ص. 47).

هذا الشاهد يعكس قدرة المكان على استيعاب النشاط الروحي والجماعي، حيث يتحول إلى فضاء متفاعل يجمع بين الفرد والجماعة. هنا يظهر التداخل بين البعد الرمزي للمكان، الذي يمثل مركزاً للقداسة، والبعد الاجتماعي الذي يربط بين

يدمج بين الوصف الواقعي والرمزي في آن واحد. وهذا التداخل يعكس شبكة معقدة من العلاقات بين المكان والسرد، تؤكد أن المكان في النصوص الرحلية ليس مجرد خلفية بل عنصر فعال في تشكيل المعنى.

يمكن القول إن المكان يتحول عبر الخطاب إلى صورة رمزية تكشف رؤية الكاتب للعالم، بحيث لا يُعد مجرد إطار، بل أداة لترميز الرؤية الدينية والثقافية. فالمكان في رحلة ابن حمادوش يتحول إلى فضاء للقداسة، والطريق إلى فضاء للامتحان، والجزائر إلى فضاء للأصل والانتماء، وهو ما يبرز أن الصور المكانية ليست محايدة بل تراكم دلالات متداخلة. بالتالي، تبرز وظيفة المكان كسياق معرفي وثقافي متصل بالهوية والجماعة.

كما تتجلى بلاغة السرد حين يتجاوز النص الإخباري ليصير إنتاجاً جمالياً يخلق عالماً تخيلياً (برادة، 1991، ص. 57)، ما يجعل النص الرحلي تجربة متكاملة من حيث البعد المعلوماتي والجمالي. علاوة على ذلك، يساهم الترتيب السردى للأماكن وحركة الرحالة في تحويل المكان من مجرد موقع جغرافي إلى فضاء ديناميكي يمر عبر الزمن ويتفاعل مع الذات، وهو ما يحقق ما يمكن تسميته بـ «بلاغة التمثيل المكاني».

وأخيراً، يمكن الاستنتاج أن النصوص الرحلية العربية تعيد صياغة المكان من خلال بلاغة مزدوجة تقوم على تداخل الصور اللغوية والاستعارات مع التنظيم السردى والحركة الزمنية للأحداث (ندى يافي، 2005، ص. 76؛ بوشامة، 2017، ص. 203)، ما يحقق توازناً بين الوظيفة الإخبارية والجمالية، ويحول المكان إلى

بين الحركة والمكان والمجتمع. فعند وصف الطريق بين فاس ومكناس، يكتب:

"سلكنا الطريق الواسع، وكانت القرى المتناثرة على جانبيه تنبض بالحياة، والحقول ممتدة كما لو كانت بساطاً أخضر" (ابن حمادوش، ص. 72). يشير هذا الوصف إلى أن الطريق فضاء بصري وحسي متكامل، إذ تتفاعل المشاهد الطبيعية مع حياة السكان، فيخلق مشهداً حياً يُحاكي الحركة اليومية والأنشطة البشرية. وبذلك، يتحول الطريق إلى عنصر فاعل في السرد الرحلي، يعكس تداخل البعد الواقعي للفضاء مع الانفعال الداخلي للرحالة، ويجعل القارئ يعيش الرحلة بصرياً ونفسياً معاً

وبالانتقال إلى المسار نحو مراكش، يصف ابن حمادوش المشاهد الطبيعية والتفاعل الاجتماعي مع السكان المحليين قائلاً:

"ومررنا عبر سهول وأودية، والبادية تتلألأ بألوانها، والبدو يرحبون بنا ابتساماتهم الصافية" (ابن حمادوش، ص. 75).

يمكن ملاحظة أن الطريق هنا ليس مجرد مسار، بل شبكة من العلاقات بين الطبيعة والإنسان، حيث تخلق اللقاءات مع السكان المحليين تجربة تفاعلية غنية، ما يضيف بعداً اجتماعياً على الرحلة. ومن خلال ربط هذا الوصف بما سبق من الطريق بين فاس ومكناس، يمكن فهم الطريق كوحدة سردية متكاملة، تجمع بين الحركة والمشهد الطبيعي والتفاعل الإنساني لتشكيل فضاء حي متنوع الأبعاد.

أما عند وصف الطرق الصحراوية، يضيف ابن حمادوش بعداً رمزياً وروحياً للطريق، حيث يقول:

أفراد الجماعة، مما يعزز وحدة النص ويخلق انسجاماً في تصوير الأمكنة الدينية.

كما يصف ابن حمادوش زاوية أخرى للتعليم الفقهي قائلاً:

"وصلنا إلى زاوية أخرى، فاستقبلنا الشيخ بترحاب، وأخذنا دروساً في الفقه والتفسير، وارتفع صوت الدعاء والقراءة" (ابن حمادوش، ص. 50).

يعكس هذا الاقتباس بوضوح البعد التعليمي للمكان، إذ يتكامل مع النشاط الروحي والاجتماعي، ليظهر المكان كفضاء متعدد الوظائف، يحمل طابعاً تعليمياً وروحانياً في الوقت ذاته. ومن المنهجية الأدبية، يُظهر النص كيف أن المكان يتفاعل مع الأحداث والنشاطات ما يخلق وحدة سردية وبلاغة نصية متكاملة.

يمكن القول إن بلاغة التمثيل المكاني في الأمكنة الدينية تنأسس على تداخل الوصف الواقعي للمكان، والنشاط الاجتماعي والروحي، والرمزية الثقافية والدينية. إذ تمكّن هذه العناصر الثلاثة النص من إنتاج تجربة حسية ومعنوية متكاملة، تجعل القارئ يعيش المكان بكل أبعاده. كما يبرز النص العلاقة الوثيقة بين المكان والحدث، حيث يتحرك المكان بتفاعل مع الرحالة والأحداث، ما يجعل النص رحلياً حياً وقادراً على تجسيد التجربة الدينية والثقافية للمجتمع.

3.8. بلاغة التمثيل المكاني في الطريق

في رحلة ابن حمادوش، يتحوّل الطريق إلى فضاء محوري يربط بين المدن والمناطق الدينية والحضرية، ولا يقتصر دوره على كونه مساراً جغرافياً فقط. فهو فضاء حي يعكس التجربة الإنسانية والروحانية للرحالة، ويجسّد التفاعل

"خضنا مسالك واسعة، والرياح تعصف بين الكئيبان، والسماء الصافية تعكس حرية الرحلة وروعتهما" (ابن حمادوش، ص. 78).

هنا يتحول الطريق إلى تجربة وجودية، فالرحلة عبر الصحراء تمثل اختباراً للرحالة، وتجعل المكان حاملاً للانفعال النفسي والوجداني، وتبرز قدرة النص على تحويل المسار من مجرد انتقال مادي إلى فضاء شعوري وجمالي يثري تجربة القراءة ويمنحها طابعاً حياً.

وبجمع هذه الشواهد الثلاثة، يتضح أنّ الطريق عند ابن حمادوش ليس عنصراً ثانوياً أو مجرد وسيط بين المدن، بل عنصر متكامل في بناء النص الرحلي، يربط بين الطبيعة والإنسان والرمزية الروحية، ويجسد بلاغة التمثيل المكاني من خلال المزج بين الوصف الواقعي، الانفعال النفسي، والرمزية. وهكذا يتحقق التكامل الفني والجمالي للنص، حيث يصبح القارئ شريكاً في التجربة الرحلية، ويعيش المكان كما عاشه الرحالة نفسه.

4.8. بلاغة التمثيل المكاني في صورة الوطن

في رحلة ابن حمادوش، يمتلك الوطن بعداً خاصاً في الوصف المكاني، إذ يصبح المكان مرآة للحنين والانتماء، ويعكس التفاعل العاطفي للرحالة مع أمكنته الأصلية والمناطق التي زارها. فعند وصفه مدينة الجزائر، مسقط رأسه، يكتب:

"حين اقترينا من الجزائر، أحسست بالطمأنينة تغمر قلبي، والبيوت القديمة والأسواق تعرفني كما لو كنت لم أغادرها أبداً" (ابن حمادوش، ص. 82).

يشير هذا الوصف إلى أن الوطن ليس مجرد مكان جغرافي، بل فضاء شعوري يرتبط بالذاكرة والهوية. منهجياً، يدمج الرحالة بين الوصف

المكاني والانفعال النفسي، ما يجعل النص قادراً على إنتاج صورة شعرية ووطنية متكاملة. ومن خلال الربط بين المشهد المكاني والبعد النفسي، يتجلى الانسجام بين المكان والهوية، ويمنح القارئ فرصة التفاعل مع التجربة الداخلية للرحالة.

ويربط الرحالة هذا الانفعال بالمسافات التي قطعها، فيصف العودة من المدن المغربية الكبرى قائلاً:

"ومع كل ميل نقترّب به، تتجلى لي صور الوطن أكثر وضوحاً، وكل جبل وكل طريق يذكرني بطفولتي وماضي" (ابن حمادوش، ص. 85).

هذا الشاهد يبرز وحدة الرحلة ووحدة المكان في النص، إذ تتقاطع المدن الموصوفة مع مشاهد الوطن، وتصبح الأمكنة الخارجية مرآة للحنين الداخلي. منهجياً، يظهر النص تتابع المشاهد المرتبطة بالوطن كعنصر رابط بين الأمكنة المختلفة، ويمنح النص استمرارية جمالية وسردية متماسكة. وبذلك، يتحول وصف الوطن إلى فضاء شعوري يجمع بين الواقعي والرمزي، ويجعل القارئ يعيش تجربة عاطفية متشابكة مع النص.

كما يصف الرحالة العودة إلى المساجد والزوايا الجزائرية قائلاً: "عدت إلى زاوية جدّي، فاستقبلني صدى الذكر الذي اعتدت سماعه منذ الصغر، وأحسست بأن كل شيء في الوطن مرتبط بالروحانية" (ابن حمادوش، ص. 87).

يُظهر هذا الشاهد البُعد الروحي للوطن، حيث تتحول الأمكنة الدينية المحلية إلى رموز للانتماء والطمأنينة. منهجياً، يوضح النص قدرة المكان على حمل دلالات الهوية والانتماء، بينما يبرز البعد الرمزي كيف يُنتج المكان تجربة وجدانية

الفضاء الديني، وأوضح قدرة الرحالة على دمج الوصف المكاني بالانفعال النفسي والتجربة الروحية.

أما الأمكنة الحضرية، فقد أظهرت المدن المغربية الكبرى - فاس، مكناس، ومراكش - كفضاءات حيوية تتفاعل فيها العمارة، الأسواق، والنشاط الاجتماعي، فتتحول المدن إلى مشهد متكامل يجمع بين الواقعي والجمالي، ويجعل القارئ يعيش التجربة الحضرية كما عاشها الرحالة. وقد بين التحليل النقدي أن المدن ليست متفرقة، بل سلسلة مترابطة من الأمكنة التي تكمل بعضها البعض في إنتاج صورة حضرية متكاملة.

وفيما يخص الطريق، ظهر كيف يصبح فضاء تفاعلياً يمتد بين المدن والأماكن الدينية والحضرية، حيث الطبيعة، حركة الرحالة، وتفاعل السكان مع المسلك تشكل وحدة جمالية متكاملة. الطريق في النص ليس مجرد وسيلة انتقال، بل عنصر فعال في السرد الرحلي، يحمل الانفعال النفسي، التجربة الاجتماعية، والبعد الرمزي، ما يعزز وحدة النص وجماليته.

وأخيراً، رسمت صورة الوطن في رحلة ابن حمادوش تجربة شعورية وانتمائية، حيث الأمكنة المحلية ترتبط بالهوية والحنين، وتتفاعل مع الذكريات والبعد الروحي للرحالة. ويبرز هذا بعداً إضافياً في بلاغة التمثيل المكاني، إذ لا يقتصر على نقل المكان، بل يدمج بين الواقع، الرمزية، والانفعال النفسي، فتتحقق الوحدة الجمالية للنص بأكمله.

خلاصة القول، يظهر من التحليل النظري والتطبيقي أن رحلة ابن حمادوش لم تكتف بوصف الأماكن، بل صاغتها كفضاءات متكاملة

متكاملة. إن هذه الصورة تكشف عن وظيفة التمثيل المكاني كأداة للتواصل العاطفي والجمالي بين الرحالة والقارئ.

ويجمع هذه الأمثلة الثلاثة، يتضح أن الوطن في رحلة ابن حمادوش ليس مجرد نقطة انطلاق أو عودة، بل شبكة حية من الأمكنة المفعمة بالمعاني الرمزية والجمالية والوجدانية. كل شاهد يُكمل الآخر، لتتضح وظيفة المكان كفضاء متكامل يعكس الهوية والانتماء والروحانية، ويجعل تجربة القراءة تجربة جمالية متشابكة مع التجربة الشخصية للرحالة. بهذا المعنى، تتحقق بلاغة التمثيل المكاني في الوطن عبر دمج الوصف الواقعي، الانفعال النفسي، والبعد الرمزي، ما يمنح النص وحدة متكاملة وسرداً ثرياً.

الخاتمة:

يمكن القول إن رحلة ابن حمادوش تمثل نموذجاً متكاملًا لبلاغة التمثيل المكاني في الأدب العربي الرحلي، حيث تتحول الأمكنة الموصوفة إلى فضاءات حية تحمل معاني متعددة: روحية، تعليمية، اجتماعية، وجمالية. من خلال الدراسة النظرية، اتضح أن بلاغة التمثيل المكاني تقوم على دمج ثلاثة أبعاد رئيسية: البعد الواقعي، البعد الرمزي، والبعد الاجتماعي أو التفاعلي، ما يجعل المكان أكثر من مجرد موقع جغرافي، بل فضاء متكامل يشارك القارئ الانفعال والمعنى.

على المستوى التطبيقي، أظهرت الأمثلة من مدونة ابن حمادوش كيف تتحول الأماكن الدينية إلى فضاءات تعليمية وروحية، حيث الجامع كمركز للعلم، والزوايا الصوفية كمراكز للذكر والتربية الروحية. وربط الشواهد بين الجامع والزوايا كشف وحدة النص في تصوير

10. الهراس، عبد السلام. (1981). أدب الرحلة عند العرب. دار الثقافة، الدار البيضاء.
11. ضيف، شوقي. (1995). الفن ومذاهبه في النثر العربي. دار المعارف، القاهرة.
12. عبد القاهر، الجرجاني. (1992). دلائل الإعجاز. دار المدني، جدة.
13. بن شريفة، محمد. (1983). الرحلات المغربية والأندلسية. منشورات كلية الآداب، الرباط.
14. برادة، محمد. (1991). فضاءات السرد. المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء.
15. بن حمادوش، عبد الرزاق. (1983). رحلة ابن حمادوش الجزائري. المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.
16. فضل، صلاح. (1996). بلاغة المكان. دار الشروق، القاهرة.
17. مفتاح، محمد. (1990). دينامية النص. المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء.
18. يعلى، مصطفى. (2002). الرحلة في الأدب العربي الحديث. دار الثقافة، الدار البيضاء.
19. يقطين، سعيد. (1989). انفتاح النص الروائي: النص والسياق. المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء.
20. يميني، العيد. (1992). الرحلة في الأدب العربي. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.
21. يافي، ندى. (2005). بلاغة السرد العربي. دار الفكر، دمشق.
- تانيا: الرسائل الجامعية
1. إبراهيم، نوال. (2010). التمثيل في الأدب العربي الحديث: دراسة بلاغية سيميائية. أطروحة دكتوراه، جامعة القاهرة، مصر.
- تربط بين الإنسان والمكان، وتعكس الروحانية، الثقافة، والجمال. هذا يفتح آفاقاً بحثية جديدة لدراسة الرحلة الأدبية كنص شعري-سردى مكاني، حيث يمكن استكشاف تأثير التمثيل المكاني على تجربة القارئ، والعلاقة بين المكان والهوية، والتجربة الجمالية في الأدب الرحلي العربي. كما يمكن مقارنة هذا النص مع رحلات أخرى في المغرب العربي لاستكشاف الأنماط المختلفة للبلاغة المكانية ووظائفها في بناء النص الأدبي.

قائمة المراجع:

أولاً: الكتب العربية

1. أبو هلال، العسكري. (1969). الصناعتين: الكتابة والشعر. دار المعارف، القاهرة.
2. ابن الأثير. (1983). المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر. دار الكتب العلمية، بيروت.
3. ابن رشيق. (1981). العمدة في صناعة الشعر ونقده. دار الجبل، بيروت.
4. الجاحظ. (1968). البيان والتبيين. دار الفكر العربي، القاهرة.
5. الحازم، القرطاجي. (1981). منهاج البلاغة وسراج الأدباء. دار الغرب الإسلامي، بيروت.
6. السكاكي. (1987). مفتاح العلوم. دار الكتب العلمية، بيروت.
7. عباس، احسان. (1996). فن السيرة. دار الشروق، بيروت.
8. العروي، عبد الله. (1991). ثقافتنا في ضوء التاريخ. المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء.
9. الترغي، عبد الله. (2020). أدب الرحلة في الأدب المغربي. أخوين سليكي، الدار البيضاء. المغرب

- 2.بوزيدي، عمار. (2015). جغرافية النص الرحلي في الأدب الجزائري. أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر 2، الجزائر
 - 3.بن داود، حنان. (2012). المكان في الرحلة المغربية. قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة وهران، الجزائر.
 - 4.بوشامة، خديجة. (2018). بلاغة المكان في أدب الرحلة الجزائري. قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة الجزائر 2، الجزائر.
 - 5.بوشامة، فاطمة الزهراء. (2017). الرحلة العربية بوصفها خطاباً بلاغياً. قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة وهران، الجزائر.
- ثالثاً: المقالات العلمية
- 1.العلوي، فاطمة الزهراء. (2004). "المكان في أدب الرحلة العربية: بين التوثيق والتخييل". مجلة عالم الفكر، المجلد 32 (4).
 - 2.هناوي، نادية. (2004). "المكان السردى وتمثيل الهوية". مجلة الآداب، العدد 4.
- رابعاً: المراجع الأجنبية
- 1/Bachelard, Gaston. (1957). La Poétique de l'espace. PUF, Paris
 - 2/Barthes, Roland. (1953). Le Degré zéro de l'écriture. Seuil, Paris
 - 3/Clifford, James. (1997). Routes: Travel Twentieth and Translation in the Late Century. Harvard University Press, Cambridge
 - 4/Genette, Gérard. (1972). Discours du récit. Seuil, Paris
 - 5/Lotman, Yuri. (1977). The Structure of Michigan the Artistic Text. University of Press, Michigan